المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 19-06-2006 العـــدد : 2089
الصفحـات : 20 المسلسل : 131

الأيديولوجيا والعلاقات الإنسانية

يحدث أحياناً عندما أكون موجوداً في مكان عام أن أرى صديقاً قديماً جمعتني به الأيديولوجيا والخط القديم سنوات طويلة. يكون قد أتى بطفله لمركز صحي، أو يمشي مع زوجته في سوق أو وقف يشتري حاجاته من مركز تجاري. الانطباع الأول عند مثل هذه اللقاءات يظهر في شيح ابتسامة. ابتسامة لها عقل يتذكر الرفاق ولقاءاتهم وضحكاتهم وحياة كانت. لكن شيح الابتسامة هذا لا يعيش أكثر من ثانية واحدة ثم لا يلبث أن يختفي ليجلس في مكانه الوجوم والعبوس. عبوس فرضته الأيديولوجيا على الإنسان، فرضته بشراسة وعقل لا قلب له، عقل لا اعتبار عنده لشيء يقال له (العلاقات الإنسانية).

هذا ما تفعله بنا الأيديولوجيات، لا يصبح لك من صاحبك شيء، فهو بقضه وقضيضه وروحه وعقله وقلبه وجسده يسبح في تيار مائي يفرض عليه خط المسير ولا يبالي بأولئك الواقفين على ضفاف النهر، ولو بالى أو تحركت له عاطفة فهو غير قادر على أن يصنع شيئاً، فأمر عقله ليس بيده، لذلك يشيح النظر ويستمر.

الأيديولوجيا تعزل الناس رجالاً ونساء في (غيتو) أحياء صغيرة لا يسكن فيها إلا أبناء عرق واحد، هم من يحملون هذه الأيديولوجيا فقط ولا يسمح للآخرين بالدخول، ولو دخلوا فسيكونون كريشة في مهب الريح.

ما زلت أعتقد أن الإنسان في فكري، قد تتغير قناعة الإنسان به في يوم من الأيام بعد أن خسر أخاه الإنسان.

لقد كانت كلمة الملك عبد الله بن عبد العزيز أمام أهل القصيم، كلمة في غاية الأهمية حين نبه على خطورة التصنيف العقائدي والفكري لأبناء الشعب السعودي وإلى التنابز بالألقاب والوقوع في مزلق التكفير، كل هذا الذي ربما قاد الناس لما هو أكبر من التباغض والتناحر الذي لن يستفيد منه أحد، خصوصاً إذا كان هذا بين أبناء الوطن الواحد والأرض الواحدة.

وحدتنا الوطنية هي أعز ما نملك، هذا ما أتمنى أن يدركه كل إنسان معني بالشأن العام. هي أكبر وأهم من كل القضايا. هذه الأرض التي مشينا على ترابها وأكلنا وشربنا من خيرها وعليها ولد أطفالنا ورأيناهم يكبرون هي أعز ما نملك. هذه المملكة لم تتوحد إلا بجهد جبار وتضحيات جسام، فكيف يحق لأي أحد الآن أن يعبث بهذه الوحدة التي تحققت وهذا الكيان الذي قام وجمعنا في هوية واحدة (سعودي)، إن كان وطنياً حقاً. كيف لأحد أن يؤجج مثل هذه الخلافات، خصوصاً ونحن في مجتمع عشائري قبائلي ما زال يخطو نحو المدنية وفلسفة رأى فيه الملك الحافي المحب لشعبه، خطراً على الوحدة الوطنية. نعم هو خطر كبير على الوحدة الوطنية عندما لا نتوقف عند الاختلاف ونتجاوزه إلى الافتراق. الاختلاف شيء فطري وهو من طبيعة البشر، أن تختلف أذواقهم ومشاربهم ومآكلهم ورؤاهم للحياة والكون (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) سورة هود. أما الافتراق فهو شيء آخر، الافتراق هو القطيعة والرفض

> **لو تخيلت نفسك وقد وجدت في بيئة هذا الآخر فإنك لن تنفك أبداً من التعاطف معه، بشرط أن تنظر إليه كإنسان، بعيني إنسان مجرد من التحزب واستشعار روح المعارك والنزاع...**

الأصل متسامح وخيّر، وعليه دائماً أن يعود لأصل التكوين المتسامح الخيّر خصوصاً عندما يتعلق الأمر بعلاقته بالآخرين.

لا عيب ولا ملامة على الإنسان في أن يكون مؤدلجاً، فكل إنسان في النهاية سينحاز ضرورة لفكرة ما، مهما تأخر وطال تأمله للمعروضات، لكن العيب كل العيب يكمن في الإقصاء والقمع والكبت والتسلط على الآخرين وإلحاق الأذى بهم، بناء على خلاف

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 19-06-2006 العـــدد : 2089
الصفحـات : 20 المسلسل : 131

خالد الغنامي*

المجتمع المدني.

لكل هذا أعتقد أننا بحاجة إلى أن نتفهم فروقاتنا واختلافاتنا وهذا يسهل تحققه عندما يضع كل واحد منا نفسه مكان الآخر وكيف وصل إلى ما وصل إليه مما يعجبنا ولا يعجبنا فيه، فلو تخيلت نفسك وقد وجدت في بيئة هذا الآخر فإنك لن تنفك أبداً من التعاطف معه، بشرط أن تنظر إليه كإنسان، بعيني إنسان مجرد من التحزب واستشعار روح المعارك والنزاع والرغبة في السحق والمحق.

نحن في أمس الحاجة إلى أن تشاع بين أبناء شعبنا (فلسفة الحوار) فأغلب الناس لا يعرف سوى خط واحد تربى عليه ولا يعرف غيره ولعله يكاد يفقد عقله من المخالف الذي يعتبره بلا عقل: كيف جانب الصواب الذي يراه رأي العين!

ولو شاعت (فلسفة الحوار) لوجدت الناس من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار يجلسون مع بعضهم ويبدي كل واحد منهم رأيه ويختلفون، كل هذا وهم يجلسون على طاولة طعام واحدة.

* كاتب سعودي
Alganmi@alwatan.com.sa